مشهد

أوانُ وضْع حدّ لطريقة التفكير الإمبريالي

صليبٌ حديديّ معقوف

أنّهُ سطر لم يُكتب بعد في مدوّنة «حقوق الإنسان» التي كتبها القويّ، ونشرها بالزّور، في العام نفسه الذي سُرقت فيه بلاد وضُيّع شعبها، منثوراً في الشتات. أيُمكن التوفيق بين راسَين بالحلال: الرأسمالية و«حقوق الإنسان»، وهما مصطلحان غير متوافقَين؟

باسم النبريص

هذا كلامٌ صعبٌ على الشّعر. سنقوله إذاً بفم الصّحافي: إنّ مُلخّص أميركا هو «المُجمّع الصناعي العسكري». وأن تعيش مع واغش كهذا، كمَن يعيش مع كوبرا في فراش النوم. هذه ليست طريقة حياة بأيّ معنى. وهذا ليس نحن: ليست فلسطين وحدها، تحت سحابة ذلك المجمّع، بل الإنسانية كلّها تتدلّى من صليب حديدي معقوف. صعبٌ على الشعر الآن قولُ أمور كهذه. لهذا لا بدّ من تأكيدها بالنّثر البارد، مع حُسبان أنّ كلّ رقم يردُ هُنا، قديم. فأنياب الوحش لَمّا تزل تقطّع وتلتهم. لنبدأ بمنطق ليل الإبادة، أوّلاً: لقد ألحقت مُعادلة المجمّع ذاك، بالسّاحل الجنوبيّ من بلادنا، مستوًى من الضّرر يُعادل بعضاً من أسوأ القصف في حرب الغرب الثانية: دريسدن، وهامبورغ، وهيروشيما، وناغازاكي. فقط، في أوّل عشرين يوماً من العدوان، دُمّرت قنابل (تُعادل ما لا يقلّ عن انفجارين في هيروشيما) مُعظمَ أنحاء القطاع. ناهيكَ عن تشريد مليوني مواطن من أصل مليونين و400 ألف.

البيوت، لم يبقَ منها إلّا الخُمس سليماً، والباقي، ما بين تدمير كُلّي أو جزئي، العوض بسلامتك. مئةُ ألف بين شهيد وجريح ومفقود. لا أقلّ من عشرات الألوف من المُعاقين والمعطوبين والسُّجناء. إيراد هذه «الأرقام»، لا يُناسب نفسيّتي والله. وكلّما حدّقتُ فيها، أرتجفُ وأرغب في امتلاك ما هو أقوى من مجرّد خُرَد مفردات. لِمَ يتصرّف العدو هكذا؟

لسببين: أوّلهما أنّه تقليدٌ غربي. والثاني من أحشاء الأوّل، فالطريقة الوحيدة للقضاء على المقاومة، أيّ مقاومة، هي القضاء على حاضنتها الأهليّة: أيّ كلّ سكّان القطاع. هذا بالضبط ما يحاولون، وعلى جُثثنا، لن يمرّ ولن ينجح.

ومع ذلك، يواصل البواسُل القتال وإلحاق أضرار جسيمة بهم: باستخدام الأنفاق كدروع، وبالخروج من الأنفاق، ومعهم إحدى أعظم وأبسط أدوات الحرب الحديثة: قاذفة القنابل الصاروخية، لإسقاط المُجنّزرات فائقة التدريع.

ولَمّا كنّا قرأنا عن مُعجزات «الفيتْ كونغ» (مع الفارق التاريخي)، فلدينا ثقةٌ بخيبة مسعى العدوّ، أمام استراتيجية حرب العصابات هذه، تماماً كما خابت مُرضعتُهُ في العراق وفيتنام وأفغانستان وكمبوديا، من قبل.

هذه عادة في التاريخ ليست حديثة، من حُسن حظّ المُقاتلين الفقراء. مُحال على الجبروت العسكري مهما تفوّق، أن يقضي تقريباً على مُقاتلي حرب العصابات، خاصة إن تغطوا بقاعدة كبرى من الدّعم الشعبي، كما هو حالهم اليوم.

وبعد؛ لنبدأ بمنطق الكوكب، ثانياً.

لقد جرى، منذ قرون، تسمير الإنسانية جمعاء على صليب الغزو الغربي. هذا، مع أنّ عالم اللحظة لا تنقصه الأهوال، ويكفيه كارثة تغيُّر المناخ، التي تعيث بالفعل فساداً في جميع الأماكن. إنّ ذلك الغزو لَيعتاش على ثروات الجنوب: «بلطش» تريليونات الدولارات من عَرَق الفقراء، على حساب ضرورات معيشتهم، كي يمسحهم من السجلّ الأرضي.

واليوم، هناك دراسات تقول إنّ تحقيق صافي التلوّث الناتج عن الانحباس الحراري العالمي بحُلول عام 2050، سيُكلّف 275 تريليون دولار على مدى 30 عاماً؛ أي ما يُعادل 9,2 تريليونات دولار سنوياً، أو 7,5 بالمئة من الناتج المحلّي الإجمالي العالمي. وبالإضافة إلى ما يقرب من تريليوني دولار تُنفق سنوياً على الأصول المُنخفضة الانبعاثات، فإنّ هذا يتطلّب إعادة توجيه الإنفاق الحالي على الأصول كثيفة الكربون، وإضافة 5,3 تريليونات دولار سنوياً في الإنفاق الجديد. ومن الواضح أنّ قدراً كبيراً من هذه الأموال ينبغي أن يأتي من خفض الإنفاق العسكري. إنّ النّزعة العسكرية هي دائرة تتغذّى على نفسها: العنفُ يولّد المقاومة، والانتقام يولد مزيدها. وفي الوقت الذي يعمل فيه أثرياء الشّمال على تطوير أدوات متطوّرة وفعّالة لتدمير فقراء الجنوب، يتعيّن عليهم بالأساس أن يجدوا طريقة لكَسْر هذه الحلقة، إذا أردوا لهم ولنا البقاء ضمن الجنس الحيّ. إنّ النزعة العسكرية لن توفّر أي حلّ، لا في غزّة، ولا في أيّ مكان آخَر، بل لن تُؤدّي إلّا إلى استمرار دائرة العُنف، كما نرى ونسمع.

منذ قرون والإنسانية مسمَّرةٌ على صليب الغزو الغربي

سيخيب العدوّ كما خابت مرضعتُه في العراق وفيتنام

وعليه، لن يقتصر الأمر على عدم تقديم أيّ حلول للعالم، بل إنّ العُنف يقف في طريق الحُلول التي نحتاجها بشكل عاجل. لقد حان الوقت لوضع حدّ لطريقة التفكير الإمبريالي، التي عفى عليها الزمن. والتحرُّك نحو عالَم جديد ينعم بالسّلام، وهو ما يتعيّن علينا أن نفعله فقراء وأثرياء معاً، من أجل بقاء الطّرفين.

لا شيء فوق الإنسان ولا إنسان دون إنسان آخَر.

هذه هي روحيّة ذلك الثالوث العالي: «الحقّ والخير والجمال»، عند فلاسفة الأرض القُدامى. وهذه أيضاً فحوى الأديان السماوية، كما هي خُلاصة خطاب ماركس المُعاصر، حين أنزل ذلك الثالوث. بشكل عمودي. من سماوات التجريد، ومرّره، عمودياً وأفقياً، من قناة الاقتصاد، ليجدّ سبيله على أرض البشر، فلا يعود ثمّة مظلومون وطُغاة: محرومون ومُتخَمون. تلك هي الرُّؤية التي يجب أن تُستدعى، اليوم قبل الغد، لأنّ الجميع في مُسيّس.

لا شيء فوق الإنسان ولا إنسان دون إنسان آخَر.

وحتى لو كانت السياسة غير المثال، ما همّ: كلّ ليلة ننام كيفما اتّفق، ونحرص على وضع هذا المبدأ بين الرُّموش.

كلّ ليلة ننام وبنا خيبةٌ عظيمة، من أن القارّ بين الرُّموش غائبٌ عن الأرض بالجُملة، وليس من أمل في استدعائه قريباً.

لا شيء فوق الإنسان ولا إنسان دون إنسان آخَر.

إنّه سطر لم يُكتَب بعدُ في أسّ مدوّنة «حقوق الإنسان»، التي كتبها القويّ، ونشرها بالزّور، في العام نفسه الذي سُرقت فيه بلاد وضُيّع شعبها، منثوراً في أربع جهات الشتات.

كلّ ليلة ننام مع خيبة، يعقبها المُلحّ: أيُمكن التوفيق بين رأسَين بالحلال (الرأسمالية و«حقوق الإنسان»)، وهُما مُصطلحان غير متوافقَين جذرياً.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

طفلتان فلسطينيّتان في مبنىً بحيّ السلطان في رفح دمّرته غارات إسرائيلية، 25 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

نراها في فلسطين

مجرّد التفكير في تحقيق المُمارسة الكاملة لـ«حقوق الإنسان» في إطار النظام الراسمالي خطأ فادح وسذاجة مُطلقة من قبيل، وهو، بالمصادفة، خطأ في التقدير ليس عفويّاً، بل مقصود من جهة هيمنة اصحاب النظام نفسه، المُفتقرين الى كلّ تلك السذاجة، التي نحبُّها فينا. الغربُ وحقوق الانسان، خارج حدوده. آه، هو ذا كلّ العالم يراها في فلسطين، كما لم يرها من قبل، فمتى تتحوّل المفردات الى ما هو اقوى؟

إطلالة

عام الإنسانية بأسرها

2024 سنة فلسطين كلّها

لا ينبغي للعام الجديد إلّا أن يكون عاماً للحقيقة ولفلسطين الحقيقية؛ عام تحرير فلسطين وعودتها إلى شعبها وعودته ظافراً منتصراً إليها

عبد الرحمن بسيسو

ليس لأيّة جردة حساب مدقّقة، موضوعية وصادقة، لتجاوُز الحرب العدوانية الإبادية الصهيونية ضدّ الشعب الفلسطيني في قطاع غزّة مئة يوم من عمرها، إلّا أن تخلص إلى نتيجة جوهرية مفادها أنّ ما قبل السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر 2023 ليس كالذي بعده؛ إذ لن يبقى شيء ممّا كان قائماً قبل اندلاع «طوفان الأقصى» الموسوم بالمقاومة الباسلة والنبل الإنساني في مواجهة العدوان الصهيوني الأورو - أميركي الإبادي الذي ستأتي حلقته الأخيرة، المزعوم أنّها ردة فعل على «طوفان الأقصى»، محمولةً على «سيوف حديدية» محشاة بنيران العنصرية المتوحّشة والجشع الرأسمالي الغرائزي والغرور الاستعلائي المُحفّز بغشاوة القوّة. سيتغير كلّ ما كان قائماً قبل اندلاع ثنائية الطوفان المقاوم والعدوان الهمجي الصراعية تغييراً جذرياً ليتساوق، على نحو منهجي منظّم ومنشود، مع كلّ هذا الذي توالى تشكّله على مدى الأشهر التي أعقبت اندلاع العدوان الصهيو - أميركي، وتصاعُد وتائر المقاومة الفلسطينية الباسلة التي لا تملك من خيار إلّا صدّ هذا العدوان وإفشاله، وإلّا العمل الحثيث على إملاء لحظة توقّفه النهائي الحاسم. ولعمليات المقاومة الفلسطينية الناهضة بتكبيد العدوّ الصهيوني أفدح الخسائر، وتلقينه أقسى الدروس والعبر، أن تُفصح عن حقيقة أنّ الهزيمة والرحيل عن قطاع غزّة ومن ثمّ عن فلسطين بأسرها، هي رغبة جيش «إسرائيل» الأوحد، وألّا مندوحة عن قرب قدوم لحظة توقّف العدوان الصهيوني كلحظة غير مرفقة بآية صورة نصر قد تتيح لجيش العدوان الإسرائيلي - المموّل ومدفوع الكُلفة والأجر والثّمن من قبل الولايات المتّحدة والغرب الأوروبي الرأسمالي المتوحّش، أو الخانع، أو المنافق - أن يزعم أنّه قد التقطها لنفسه، أو أنّ التقاطها له عند فؤهات المحارق الصهيو - أميركية الإبادية المنصوبة في قطاع غزّة الأبي المُقاوم، بقصد تدميره تدميراً شاملاً، وإبادة أصحابه الأصليّين، وبناة حضارته، وقاطنيه الأزليّين، الفلسطينيين، إبادةً جماعية، متقصّدةً، ومخطّطاً للشروع الفوري في اقترافها، في سياق جرائم حرب، وجرائم ضدّ الإنسانية تواصلت على مدى أيام حرب الإبادة الجماعية، ولا تزال مستمرّة حتى الآن على نحو يستعيد، في تصاعُد دروي محموم، كلّ ما سبقها من تدمير حضاري شامل، وإبادات جماعية، وتطهير عرقي، إثنيّ وقوميّ، كانت العصابات الإرهابية الصهيونية الغربية الأورو - أميركية، وصنيعتها المُجرمة «إسرائيل»، قد واصلت اقترافها على مدى يربو على قرن من الزمان، في كلّ أرجاء فلسطين التي أريدت إبادتها عبر تهويدها، وإبدال اسمها، وتزييف هويتها، لتكون، زوراً وبهتاناً وإرهاباً وتعسُّفاً، «إسرائيل» التي سيُعلن عن قيامها في منتصف أيار/ مايو 1948 فوق أنقاض فلسطين، وركام معالمها الحضارية، وخرائب بيوت أهلها، أصحابها الأصليّين، بناة حضارتها وصُنّاع تاريخها، ومانحيها الاسم، والهويّة الثقافية السياسية الوطنية الجامعة: الفلسطينيّين.

وسيكون للتغيّر الجذري الجاري تشكُّل أصلاب مكوّناته في أتُون حرب الإبادة الإسرائيلية ومحارقها الصهيونية النازية التي تستهدف الكلّ الفلسطيني دون أدنى تمييز فردي أو جمعي بين أفراده وفئات مكوناته، من جهة، وفي مبارات المقاومة الفلسطينية الإنسانية الباسلة من الجهة المقابلة، أن يتحرّك على أصعدة ومستويات عديدة ومتدوّعة؛ وسيكون لصُلب أيّ مكوّن من هذه المكوّنات أن يوسم، وعلى نحو جوهري حاسم، بالحقيقة الفلسطينية الساطعة، وبالحقّ الفلسطيني الراسخ، كأساسَين جوهريّين لكلّ ما سيجري الإعلان عن الإقرار به، بجلاء ساطع وبلا أدنى مراوغة سياسية، مع انبثاق لحظة «وقف إطلاق النار» واجبة الوجود، وكذا لكلّ ما سيتواتر تأكيده من قِبل إنسانيّي العالم من أفراد ومجموعات وكيانات ومؤسّسات ودول، على مدى استمرار أيّ مساع إقليمية ودولية جادّة وحثيثة، لإدراك حلول سياسية ستكون، هذه المرّة، ولأوّل مرّة في تاريخ الصراع الفلسطيني الصهيو - أميركي، مساعيَ ذات أمادٍ معلومة، وذات غايات سياسية وقانونية ليست محلّ تفاوُض أو مساومة وانتقاص.

(ناقد وشاعر من فلسطين)

ها هي فلسطين تتهيّأ للنهوض مجدَّداً من رماد المحرقة

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

من محيط «مسجد عمر بن عبد العزيز» في رفح، 24 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

ندوة

تلاعُبٌ بالقيم البيئية للتغطية على الإبادة

«الغسيل الأخضر» في ظلّ العدوان

لفت مشاركون، في ندوة أُقيمت ببيروت، إلى أنّ الاحتلال الإسرائيلي يستغلّ الحراكات الناشطة في قضايا البيئة، لمحاولة غسل جرائمه البيئية

بيروت ـ العربي الجديد

ضمن سلسلة الندوات الشهريّة التي ينظّمها «منتدى البدائل العربي للدراسات»، بالتعاون مع «موقع صفر» الإلكتروني المتخصص في الشأن الاقتصادي، عُقدت مساء الأربعاء الماضي ندوة افتراضيّة بعنوان «مؤتمر الأطراف باتفاقية المناخ COP-28 وعدالة التعهّدات المناخيّة ومنطقتنا»، بمشاركة ثلاثة باحثين؛ هُم: أحمد الدرويبي وعمر سمير وبارا عبد الخالق، حيث تناولوا التساؤلات المرتبطة بعدالة التعهّدات التي تُنتج عن مثل هذه المؤتمرات التي تنتظم سنويّاً برعاية الأمم المتّحدة. مهّد الباحث اللبناني مارك أيوب للندوة، لافتاً إلى أنّ الدورة الأخيرة من «مؤتمر المناخ» التي عُقدت الشهر الماضي في دبي، جرت في ظلّ حرب الإبادة الإسرائيلية على غزّة، لكن لم يجرِ الالتفات في المخرجات إلى ما تحمله هذه الحرب من إبادة بيئية، نظراً للكميّات الهائلة من غاز الكربون التي تخلّفها الأسلحة الإسرائيلية. تركّزت المداخلة الأولى، التي قدّمها الباحث المصري أحمد الدرويبي، على «التعافي الأخضر والوقود الأحفوري»، حيث أشار إلى مسؤوليّة البلدان الكبرى في التغيّرات المناخيّة، في حين أنّ قارّة بكاملها مثل أفريقيا لا تتخطّى انبعاثاتُها اثنين في المئة من انبعاثات العالم، مقابل 25 في المئة في حالة الولايات المتّحدة الأميركية. وبالتالي هل سنتبعد عن الوقود الأحفوري فعلاً، كما وعدت الدورة الأخيرة من المؤتمر، أم من الأجدر النظر إلى القدرة النسبيّة لكلّ دولة؟ وخلص الباحث إلى أنّه في ظلّ هيمنة الدول الغنيّة على إنتاج الوقود الأحفوري وما يخلقه هذا من أنماط إنتاج استعمارية، يصبح من الضروري التفكير في «دمقراطية الطاقة». بدوره، تناول الباحث المصري عمر سمير، في مداخلته، مسألة «التمويل المناخي وجبْر الأضرار»، لافتاً إلى أنّ تعهّدات المؤتمرات السابقة لم تُنفَّذ بالشكل اللّازم، ومنها مساعدة الدول الغنيّة للدول النامية على مواجهة التغيّرات المناخيّة، سواء من ناحية التخفيف أو التكيّف. فعلى سبيل المثال نحن بحاجة إلى تريليون دولار حتى نخفّض انبعاثات الكربون إلى الحدّ الأدنى، ولكن ما دُفع في هذا الإطار أقلّ من واحد على عشرة. وبالنسبة إلى المنطقة العربية، فلو ظلّ الحال على ما هو، ستخسر بلداننا 14 في المئة من إنتاجاتها المحلّية، الأمر الذي يدلّ على انعدام عدالة حقيقي في توزيع الخسائر.

تدمير النظُم البيئية استراتيجية استعمارية مستمرّة منذ 1948

«الاحتلال والغسيل الأخضر وحقوق الفلسطينيّين البيئية»، عنوان المداخلة الثالثة التي قدّمتها الباحثة اللّبنانية يارا عبد الخالق، وأشارت فيها إلى أنّ الانتهاكات التي يرتكبها الاحتلال الإسرائيلي في غزّة، سيكون لها تأثيرٌ طول الأمد على البيئة، كما أنّها لم تبدأ اليوم، بل تندرج في السياق الاحتلالي - منذ 1948 - الساعي لتدمير النظم الإيكولوجية، بهدف محو الوجود الفلسطيني عن أرضه التاريخية.

ونبّهت الباحثة إلى أنّ المنطقة العازلة التي أنشأها الاحتلال في غزّة، منعت المزارعين من الوصول إلى أرضهم، وكذلك في لبنان حيث أحرقت «إسرائيل»، منذ 7 تشرين الأوّل/ أكتوبر الماضي، 462 هكتاراً من الغابات والأراضي الزراعية، ما تسبّب في خسارة أكثر من 40 ألف شجرة زيتون، فضلاً عن تلويث التربة والمياه بآثار الفوسفور الأبيض.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

من مخيّم للمهجرين في رفح جنوبي غزّة، 2 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

فعاليات

عند السابعة من مساء غد الاحد، يَعرض نادي السينما التابع لـ«حزب العيش والحرّية» المصري، في مقرّه بالقاهرة، فيلماً وثائقياً بعنوان **الطريق إلى الفصل العنصري** (2012). يتناول الشريط واقع الحياة الفلسطينية في ظلّ الاحتلال، بمقاربتها مع نظام «الابارتهايد» الذي كان قائماً في جنوب افريقيا.

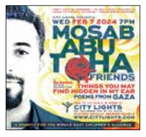

تنظّم مكتبة ودار «أضواء المدينة» في سان فرانسيسكو الاميركية، مساء السابع من شباط/ فبراير المقبل، امسية قراءات شعرية من مجموعة **أشياء قد تجدها مخبّأة في أذني** الصادرة بالإنكليزية للشاعر الفلسطيني **مصعب ابو توهة**، والذي سينضمّ من القاهرة، عبر «زووم»، إلى الشعراء والشاعرات المشاركين؛ ومن بينهم: **إيفان كنيدي**، و**نورما كول**، و**براين لوكاس**.

منبر مفتوح لفلسطين عنوان نشاط ينظّمه «مسرح زقاق» في بيروت، بدءاً من السابعة من مساء الأوّل من الشهر المقبل. تتضمّن الفعالية قراءة نصوص، وعرض اشرطة فيديو قصيرة، وسرد قصص، وأداءات ارتجاليّة، بالإضافة الى فقرات غنائية وموسيقية، وتمثّل القضية الفلسطينية موضوعاً لهذه التعبيرات الفنّية.

بين التاسعة صباحاً والثالثة والنصف من مساء اليوم السبت، تُقام في «قاعة الريو» بتونس العاصمة ندوة بعنوان **الاستبداد الناشئ: تناقُض الخطاب والممارسة وأزمة القوى الديمقراطية**، بتنظيم من مجموعات حقوقيّة ناشطة في البلاد. تتناول الندوة عودة الاستبداد السياسي للتحكّم في مفاصل الدولة بعد الثورة.